

تطور البحث الدلالي

(57) انتقام الأطراف وهاتان حقيقتان علميتان بنظرية دحو القطبين وحركتهما يوضحهما قوله تعالى : - (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون *) (1) . ب - وفي قوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجدوا عنده فوفاً حسابه و) سريع الحساب * (2) . " ففي هذه الصورة الأخاذة يتجلى سطح الصحراء العربية المنبسطة ، والخداع الوهمي للسراب ، فنحن هنا أمام عناصر مجاز عربي النوع ، فأرض الصحراء وسماؤها قد طبعاً عليه انعكاسهما ... حين نستخدم خداع السراب المغم ، لنؤكد بما تلقيه من خلال تبدد الوهم الهائل ، لدى إنسان مخدوع ، ينكشف في نهاية حياته غضباً الشديداً في موضوع السراب الكاذب ... سراب الحياة " (3) ، فلفظ " سراب " استقطب مركزياً دلالاته من خلال البيئة العربية المشاهدة المحسوسة ، وكما يتلشى هذا السراب فجأة ، وينطفي تلاًؤه بغتة ، فكذلك ما أمله هؤلاء الكافرون بأعمالهم الخادعة ، متماثلة معه في خداع البصر وانطماس الأثر ، فلو عطفنا دلالة " الظمآن " الإيحائية ، لوجدنا الظمآن في تطلبه للماء ، ووصوله إلى السراب يقضي حسرة أشد ، وفاقة أعظم ، وحاجة متواصلة ، ولكنه يصطدم بالحقيقة الكبرى وهي أن تعالى ، فيوفّيه حسابه ، دون معادلات معروفة ، فلا المراد حقق ، ولا الحياة استبقى ولا الثواب استقصى ، وإنما هي حسرات في حسرات . ح - ولو تتبعنا مآل هؤلاء الكافرين في خيبة أعمالهم وخسران أعمالهم ، لوجدنا الصورة المتقابلة مع تلك الصورة بقوله تعالى : - (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات _____ (1) سورة يس : 14 . (2) سورة النور : 39 . (3) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية : 355 .